الفصل الرابع

الحوار الإسلامى للتعايش مع الغرب

obeikandl.com

obeikandl.com

الحوار الإسلامى للتعايش مع الغرب

مقدمة:

لقد أصبح الحوار فى عالم اليوم ضرورة مهمة من ضرورات العصر من أجل التغلب على المشكلات الواقعة لعالمنا على جميع المستويات، بل يعد الحوار بين الأديان فى كثير من الأحيان بمثابة الخلفية لبقية المشكلات، لما للدين من تأثيرعميق فى نفوس الناس، ومن هنا فإنه لا يمكن عزل الحوار بين الأديان السماوية الكبرى عن ألوان الحوارات الأخرى؛ لأنه يتشابك معها بطريقة أو بأخرى تشابكًا ظاهرًا أو خفيا، أردنا أو لم نرد، والحوار بهذا الشكل – المعنى – يعد أيضًا جزءًا لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات، فالحضارات فى كل مكان فى العالم قامت على أساس دينى[١].

ومنذ بدء الدعوة الإسلامية، والإسلام يقيم حوارًا مع الآخر – الغرب – لأنه جاء يدعو الناس جميعًا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

فنشأت الدعوة فى بيئة مشركة تعبد الأصنام والأوثان، وكان الخطاب موجهًا إلى هؤلاء، ورغم المواجهة الشرسة من قبلهم، ورغم محاربتهم للنبى ﷺ واضطهادهم له وللقلة التى آمنت معه، فقد خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف].

والإسلام يحث المسلمين على الحوار الهادئ والجدل الرصين مع أهل الكتاب، باستخدام الوسائل العقلية التى تتسم بالحكمة والاتزان والموضوعية. وإذا أردنا أن نتعرف على الأسلوب الأمثل فى الدعوة إلى الله والحوار مع الآخر – الغرب – فعلينا أن نتخذ من الرسول ﷺ القدوة الحسنة، والهدى الصحيح والنهج الأرقى؛ لأن الرسول ﷺ هو الداعية الأول الذى علمنا كيف ندعو إلى الله[٢].

وإن الغرب منظومة حضارية مترابطة ومتكاملة، من القيم والمبادئ والأفكار والمذاهب والسياسات تضج بالحركة وتبحث عن مصالحها وتضعها فى مقدمة أولوياتها،

---

(١) خالد محمد الأصور: حوار الأديان(أهدافه – شروطه – وسائله)، ص١٦٣، من سلسلة فكر المواجهة (٢) مرجع سابق.

(٢) محمد على الجوزو: الحوار مع الغرب، ص٤٣٩، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق.

وتتعامل مع العالم، من منطلق الحرص على هذه المصالح واستثمارها وتنميتها، والحفاظ عليها بكل الطرق والوسائل. ولما نصل إلى معرفة ذلك يكون علينا أن نعرف طبيعة المخاطب الذى نسعى للحوار معه، ثم علينا أن نعرف لهذا الحوار قيمته، وطبيعته، ودوافعه وأهدافه، وشروطه ووسائله، منطلقاته، ومجالاته، وأنواعه أو مستوياته، ومنهج القرآن فى عرض الحوار، ونعرف قبل هذا كله ما نريده نحن من الحوار، هل نريد الحوار من أجل الحوار؟ أم نريد حوارًا من أجل مصالحنا، ومن ثم فالحوار الهادف (الإيجابى) النافع المجدى هو الذى يستهدف كل هذه الغايات جميعًا.

والله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بنعمتى العقل واللسان على سائر المخلوقات وعن طريقهما يستطيع الإنسان أن يمارس ويناقش أموره بشكل أفضل مع جيرانه ، ويدافع عنها، ويتحاور فى شأن نقط الخلاف بينه وبين غيره، ومن خلال الحوار قد يصل إلى الاتفاق. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ]. وقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ [البلد]، وقول تعالى:﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء]. والمتأمل للقرآن الكريم يجد فيه الهداية والرشاد والإصلاح لأسس الحوار مع الغرب (الآخر).

معنى الحوار وقيمته:

أسلوب الحوار هو الأسلوب الغالب فى القرآن الكريم، وبخاصة عند عرض القصص القرآنى، حتى أن كلمة (قال) ومشتقاتها وردت فى القرآن الكريم فى أكثر من سبعمائه وألف موضع، ذلك لأن الحوار يشحذ الذهن، ويوقظ الشعور، ويخصب الخيال، ويحول الفكرة أو الموضوع إلى مشهد أو صورة تنبض بالحياة، فيكون ذلك أدعى الى التأثير والإقناع. والحوار أو التحاور أو المحاورة هى مراجعة الكلام، وهى المجاوبة والمحادثة وتبادل الخطاب، ومنها أيضًا المجادلة والمخاصمة والمحاجّة[1] .

وقد ورد لفظ (التحاور) بصيغة المصدر مرة واحدة فى القرآن الكريم، وذلك فى سورة المجادلة فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة]. كما ورد لفظ (يحاور) مرتين فى المثل

(١) عطية محمد مصطفى: الحوار فى القرآن الكريم، موضوعاته .. وأهدافه، ص٣، مطبعة السماح الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

الذى ضربه الله فى سورة الكهف لرجلين أحدهما مؤمن والآخر كافر، جاحد فضل ربه عليه، وذلك فى قوله تعالى:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف].

ولأهمية أسلوب الحوار نرى أن القرآن الكريم يطلب منا أن نحاور غير المسلمين، فيعرض علينا أقوالهم، ثم يعلمنا الرد عليهم، كما جاء فى قوله تعالى فى شأن أهل الكتاب: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة]. وإن لفظ (قالوا) ورد فى القرآن الكريم فى اثنين وثلاثين موضعًا، ولفظ (قل) ورد بنفس العدد فى اثنين وثلاثين وثلاثمائة موضعًا[1].

وقد يأتى الحوار على العكس من ذلك، إذ يعرض القرآن الكريم ما يقال من الرسول أو المؤمنين للكفار أو المنافقين، ثم يبين ما يمكن أن يردوا به، ثم يعقب على ذلك بحسم القضية موضوع الحوار[2]. قال تعالى فى شأن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (قول)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى.
(٢) عطية محمد مصطفى: مرجع سابق، ص٥.

ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة] . وقال فى شأن الكافرين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة].

والقرآن الكريم يأمرنا أن نفتح حوارًا مع الآخرين، كما فى قوله تعالى:﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران].

الحوار والكلمة:

والحوار مراجعة ومواجهة، والمراجعة إنسانية، ومادامت إنسانية فهى فى المعنى عبر الكلمة المنطوقة أو المكتوبة، وربما عبر إشارتها المعهودة لدى من لا يحسن نطقها أو تناول قلمها. والحوار مواجهة بين من اختصوا بالوجه المعبر، والوجه صفحة مرسلة ومستقبلة فى آن معًا: فالفم فيه: مصدر معرفة مقولة ومرسلة. والاذن فيه: طريقة موصلة للفكر الى مستقر الصدر، الصدر الحاوى[1]، يقول تعالى فى ذلك﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح :١]، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾ [طه] . وأما العين الباصرة فكفيلة بدعم الفم قائلًا مرسلًا ،ودعم الأذن مستقبلة.

والحوار فن فى المراجعة والمواجهة، تُراجع بينك وبين ذاتك، وتواجه الآخر بما راجعت وبما حورت فى خلدك وداخلك، وهو على الكلمة يقوم، وقد غدا اليوم فنًّا من الفنون المؤهلة إلى درجة العلوم له قواعده ونظمه وأسسه. على أن الكلمة التى يتركز عليها الحوار ليست مطلقة ولا حرة، فليس القصد فى الحوار أن تتكلم ولكن القصد والمطلوب أن تصبر على كلام الآخر، فلا تستخدم فى مواجهته إلا اللائق[2] . قال تعالى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

[الفرقان].

---

(١) محمود عكام: "الحوار من الإنسان إلى الإسلام"، ص٢٠، من أبحاث الموسم الثقافى الثالث لمنتدى الفكر والثقافة، بعنوان: "الحوار والديمقراطية فى الشرق الأوسط"، ديترويت، الولايات المتحدة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) محمود عكام: مرجع سابق، ص٢١.

والكلمة هى الأساس فى الحوار وهى فى غايتها نوعان: فقد تكون أداة فتك وفتنة، وقد تكون أداة مواصلة إنسانية؛ لأن التواصل بالكلمة هو غاية الحوار، قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣] . وفى الحديث الشريف أنه ﷺ قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١] . وشتان بين كلمة مرغوبة تعنى الخير وتحمله، وبين كلمة أخرى تعنى الشر وتسوقه، قال ﷺ: « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم»[٢] . الحوار فى النهاية: كلمة مناسبة للإنسان الذى اختير أمينًا فى الأرض وموضوعًا شاغلًا لأهل السماء.

منهج القرآن فى عرض الحوار:

القرآن الكريم يخاطب الكينونة البشرية كلها، فهو موجه إلى عقول الناس وقلوبهم وفطرهم، وغرائزهم، يعمد إلى العقول فيوجهها إلى التفكير، وإلى القلوب فيوقظها من غفلتها، وإلى الفطر فينقيها، وإلى الغرائز فيعليها، لذلك نرى القرآن الكريم يعرض كل حوار بما يناسبه من الأساليب، تلميحًا أو تصريحًا، ذكرًا أو حذفًا، ويستخدم من الأساليب الاستفهامية والتعجبية، ويختار من الصور البيانية والألفاظ الموحية ما يحقق الهدف الذى يرمى إليه، وفى كل هذا يراعى ما منحه الله للإنسان من قدرة على التفكير، والتذكر، والتخيل، والتصور، وحب البقاء، وما ركب فيه من غرائز الخوف والطمع وحب الاستعلاء، وما أودعه فى فطرته من اتجاه إلى خالقه، والتعهد والالتزام باتباع الحق، وفى اتباع اللين والحكمة والموعظة الحسنة[٣] .

وقد يأتى الحوار فى القرآن بين طرفين أو أكثر، بهدف تجلية فكر ما، أو إبراز تصور لموضوع ما، كموضوع استخلاف آدم عليه السلام وتكريم الله له، وتهيئته لهذه الخلافة، فقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة :٣٠] .

وقد يكون الحوار مُحاجة بين خصمين حول قضية ما، يحاول كل منهما أن يراجع خصمه، وأن يقيم الحجة على صحة دعواه، محاولًا حض خصمه، كالمحاجة التى كانت بين

---

(١) أخرجه مسلم: ك (الإيمان)، ب [الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير] جـ١، ص٦٨، حديث رقم (٤٧).

(٢) أخرجه البخارى: ك (الرقاق)، ب [حفظ اللسان]، حديث رقم (٦١١٣)، جـ٥، ص٢٣٧٧.

(٣) عطية محمد مصطفى: مرجع سابق، ص١٢.

إبراهيم عليه السلام والنمروذ – الملك الذى كان يحكم فى أيامه – فى قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة].

وقد يكون الحوار مراجعة الكلام لاستجلاء الحكم فى مسألة ما، كالحوار الذى كان بين رسول الله ﷺ وخولة بنت ثعلبة – رضى الله عنها – والذى أشارت إليه سورة المجادلة فى قوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة].

وقد يكون الحوار لمعرفة وجه الحقيقة فى أمر ما يشغل أحد طرفى الحوار، كالحوار بين الله تعالى وإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة].

فإبراهيم عليه السلام يؤمن يقينًا أن الله يحيى الموتى، والذى قال للنمروذ: «ربى الذى يحيى ويميت» يتطلع ويستشرف إلى أن يرى القدرة الإلهية وهى تعمل، فيسأل عن كيفية الإحياء، فكان ما كان.

وقد يكون الحوار بين الله تعالى وأحد رسله لتدريبه وإعداده لمواجهة من أرسله إليهم، كالحوار بين الله تعالى وموسى عليه السلام الذى تحكيه سورة طه، فبعد أن ناداه ربه بالوادى المقدس، ولقنه الحقائق الكبرى: حقيقة الألوهية والرسالة، قال تعالى:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ [طه]، وبعد هذا التدريب يقول له ربه: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه]. أى: اتباع اللين والحكمة والموعظة الحسنة، والله تعالى يأمر باتباع الحكمة فى الدعوة ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت]. وتأكيدًا لهذا المنهج ينهى الله المؤمنين عن اتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم فى السب لمعتقدات الأخر:﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ [الأنعام:١٠٨] .

فالقرآن الكريم سباق فى دعوته إلى الحوار ،ولم يكتف القرآن الكريم بذلك ،بل رسم أيضًا منهج هذا الحوار: قال تعالى :﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦]،﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ]، ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران].

فحتى حين أخفق الحوار لم تعلن الحرب على المخالفين، ولم تصوب لهم المطاعن، بل جاء الاقتراح بالدعاء إلى الله تعالى أن يعاقب الطرف الكاذب باللعنة ، كما يقول تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى] ، ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] . ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة:٢٥٥]،﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون].

وقد تحاور الرسول ﷺ مع وفود مسيحية و بصفة خاصة مع وفد نصارى نجران الذى قدم إلى (المدينة المنورة) برئاسة أسقفهم أبى الحارث . كما أن الرسول ﷺ قد عقد معاهدة مع اليهود حين هاجر إلى المدينة ،كما أرسل العديد من الرسائل إلى الملوك الأكاسرة والقياصرة.

والحديث عن الحوار يفترض فيه وجود فرقاء متعددين يدور بينهم حوار ، ومن ثم فإذا

لم يكن هناك قناعة (بالتعددية) يستحيل الحديث عن أى لون من ألوان الحوار، والإسلام يرى التعددية ليست مجرد حق من حقوق الإنسان ، وإنما يراها سنة من سنن الكون البشرى، حيث تنفرد الذات الإلهية وحدها بالوحدانية ما عدا الله سبحانه وتعالى يقوم على الازدواج والتعدد[١] . يقول تعالى فى ذلك :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود]. فالأصل أن يكون هناك تعدد واختلافات وفرقاء، هذا هو التأسيس لقضية الحوار بين المسلمين وغيرهم. والتعدد موجود فى الشرائع، والمناهج تقتضى التعدد فى الحضارات ، والإسلام حدد قانون العلاقات الدولية ، وقانون العلاقة بالآخر فى آيات الممتحنة، قال تعالى:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة]، فلا قتال إلا لمن يخرجنا من ديارنا، أو يقاتلنا فى ديننا، إذا موقف الإسلام من الآخر موقف البر والعدل والقسط، طالما أنه لايفتننا عن ديننا. وأسلوب العلاقة بالآخر يحددها القرآن الكريم، فنحن مطالبون كشرط لإيماننا أن نؤمن: بالكتب والرسالات السابقة، قال تعالى :﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة].

الإنسان والحوار:

كلاهما يقوم على الكلمة، وتجمعهما الكلمة، وعلى أساس الحوار يلتقى الإنسان ، أو ليس الإنسان حامل كلمة أو ناقل كلمة، ومبلغ كلمة ،وتلك مهمته التى كُلف بها، أمانة يسعى إلى أدائها بكل جدية[٢].قال تعالى:﴿ ٱقْرَأْ ﴾ [العلق:١]،﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [فصلت:٣٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة :٦٧]. والحديث عن الإنسان والحوار حديث عن نون والقلم ، عن الصحيفة والحرف ، حديث مجلى يظهر إنسانية الإنسان. ويقول "فروم":الإنسان بالحب يسمو ، وبالقلم يسود ، وبالحوار يتقدم .

---

(١) خالد محمد الأصور: حوار الأديان (أهدافه – شروطه – وسائله)، مرجع سابق ، ص١٦٥.

(٢) محمود عكام: مرجع سابق ، ص٢٢.

الإسلام والحوار:

الإسلام حوار يبتدأ من الذات ومعها، ويستمر ويتتابع مع الآخر أى مع الإنسان، وينتهى إعلانا مفاده، قال تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقر :٢٥٦]، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى :٤٨].

أما بدايته مع الذات ،ففى قصة إبراهيم عليه السلام نقرأ قوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنعام].

أما استمراره ومتابعته مع الآخر ،فنقرأ قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [المجادلة:١].

وقوله تعالى :﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف].

وأما نهايته الإعلانية، فقد قال تعالى: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر].

ونعرض مثالين من السيرة النبوية، أولهما :حوار مع مشرك، والثانى: حوار مع شاب مؤمن يبغى فعل كبيرة.

المثال الأول:

روى ابن خزيمة بإسناده، أن قريشا جاءت إلى الحصين والد عمران ،وكانوا يعظمونه ، فقالوا له: كلم هذا الرجل أى محمدا ﷺ فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم. فجاؤوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى ﷺ، فقال: «أوسعوا للشيخ» وعمران وأصحابه متوافرون، فقال حصين : ما هذا الذى بلغنى عنك ، أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم؟

فقال النبى ﷺ: «يا حصين ،كم تعبد من إله؟»

فقال حصين: سبعًا فى الأرض وواحدا فى السماء.

فقال النبى ﷺ :« فإذا أصابك الضر من تدعو؟».

فقال حصين: الذى فى السماء.

فقال النبى ﷺ:« فيستجيب لك وحده وتشركه معهم، أرضيته فى الشكر ، أم تخاف أن يغلب عليك؟»

فقال حصين: ولا واحدة من هاتين . قال : وعلمت أنى لم أكلم مثله.

فقال النبى ﷺ: :«يا حصين ،أسلم تسلم».

فقال حصين: إن لى قوما وعشيرة، فماذا أقول؟

قال النبى ﷺ قل: اللهم أنى أستهديك لرُشْدِ أمرى ، وأسألك علما ينفعنى».

فقالها حصين : فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه ابنه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه.

فلما رأى النبى ﷺ ذلك بكى.

وقال: « بكيت من صنيع عمران ، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه ،فدخلنى من ذلك الرقة، فلما أراد حصين أن يخرج ، قال لأصحابه: « قوموا فشيعوه إلى منزله»، فلما خرج من سدة الباب رأته قريش، فقالوا: صبأ ،وتفرقوا عنه[1] .

المثال الثانى:

روى الهيثمى فى مجمع الزوائد: أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يستأذنه فى الزنى.

فقال النبى ﷺ : «أترضاه لابنتك؟»

فقال الرجل : لا .

فقال: «وكذلك الناس لا يرضونه»

فقال النبى ﷺ:« أترضاه لأمك؟»

فقال الرجل : لا.

فقال : «كذلك الناس لا يرضونه».

---

(١) أنظر : الاصابة لابن حجر العسقلانى : جـ ٢ ، طبعة دار الجيل، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ ، ص ٨٧.

ثم قربه ، ومسح صدره قائلا: «اللهم طهر قلبه، وحصن فرجه، واغفر ذنبه».

فقال الرجل : دخلت إلى النبى ﷺ وما شىء أحب إلى قلبى من الزنى ، وخرجت وما شىء أبغض إلى قلبى منه [١].

دائرة الحوار ومجالاته:

إننا بحاجة إلى محاورة الغرب والاتصال به لبيان موقفنا من هذه القضايا - حقوق الإنسان، الديمقراطية، مفهوم الأسرة،والمرأة وحقوقها ، وقوانين أنظمة الاقتصاد - ومخاطبة مفكريه وقياديه، وأن نسمعهم ذلك فى بلدانهم؛ لأن لدينا الكثير من الخير الذى يجهلونه ، والعلم الذى يحتاجون إليه على أن يكون منطلقنا فى ذلك ما أوجبه الله تعالى من بيان الحق ، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران :١٨٧]،وأن يكون ذلك على الأساس الذى شرعه الله فى قوله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل :١٢٥]. قل- الإنسان- ماذا تريد إذا كنت محاورًا، وأسمع ما يقول، وأجب عليه إذا كنت طرفًا فى الحوار.

فالإنسان بساحاته كلها مجال للحوار، وضمن دائرة الحوار،لا تغيب منه ساحة عن شمس الحوار، ولا تتمتع فيه مساحة من استمتاع بوابل الحوار الطيب.من وافقك حاوره ليوافقك عن بينة، ومن خالفك حاوره ليخالفك عن معرفة[٢] . فالحوار هو الأصل، قال تعالى :﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وإذا كنت لا أريد أن أعد ما يمكن أن يدخل فى مجال الحوار، وما لا يمكن أن يحتوى عليه هذا المجال، مادام الإنسان بكل ما يصدر عنه محل حوا، إلا إننى أذكر بعض مجالات الحوار- على سبيل المثال - التى ندعو الأمم -- الغرب -- للاستفادة من تشريع الإسلام فيها ، ويأتى فى مقدمتها [٣] .

- حقوق الإنسان وتكريمه وحمايته.
- إعداد المرأة والأسرة وبناء المجتمع النظيف
- ربط العلم بالإيمان لإسعاد البشرية.
- المحافظة على الصحة العامة للإنسان.
- مكافحة الإرهاب فى العالم.
- تعايش الإنسان مع البيئة الطبيعية.

---

(١) أخرجه الهيثمى فى الزوائد : ب (فى ضوء العالم)، جـ١ ، ص ١٢٩، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ .

(٢) محمود عكام: مرجع سابق،ص٢٨.

(٣) عبد الله بن عبد المحسن التركى: سلسلة فكر المواجهة، ص١٤ (٢)،تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية،ندوة بعنوان: الإسلام وحوار الحضارات، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،٢٠٠٢.

- وقف الحروب بين الأمم والشعوب.
- إشاعة السلام فى الأرض.
- تنمية مكارم الأخلاق فى المجتمعات الإنسانية.
- إعمار الأرض والمحافظة عليها.
- التعاون الدولى (العالمى) بين الأمم والشعوب.
- حُسن استغلال المال.
- العولمة.
- قيمة العقل فى الإسلام.

فدين الإسلام دعوة عالمية: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨]، فلم يكن الإسلام أبدًا دعوة إقليمية أو قومية.

والإسلام يرفض أى شىء معاد للحوار، مثل التى صدرت عن (فوكوياما) حين قال: الحضارات ستذوب فى الحضارة الأمريكية. وهينتنجتون الذى قال فى كتابه صدام الحضارات: إن الإسلام خطر أخضر، وهو ذاتى التدمير، ويحذر من تحالف الإسلام مع الكونفوشيسية ضد حضارة الغرب.

منطلقات الحوار مع الآخر (الغرب)

توجد منطلقات إسلامية كثيرة وإيجابية إلى أبعد الحدود يمكنها أن تمهد الطريق لحوار دينى حضارى بين الإسلام والغرب بمفهومه الواسع الذى يشمل كل الدول غير الإسلامية. ويتطلب ذلك منا أولًا أن نجعل من تراكمات الماضى المؤسف، ومن وقائع الحاضر المؤلم، دافعًا قويا يدعم الإيمان بضرورة الالتقاء على كلمة سواء، والثقة بأن العنف لم ولن يحسم الصراع لصالح أحد الأطراف، فضلا عن أن يقرب بين نقاط الخلافات العقدية، والمنطلقات الثقافية، فيصبح الحوار على رأس قائمة أولوياتنا.

وتتمثل أهم دعائم إنجاح الحوار الحضارى فى القناعة المبنية على الواقع فى وجود نقاط التقاء مشتركة بين الإسلام والغرب، والعزم الصادق على استثمارها إلى أقصى حد ممكن بهدف الوصول إلى فهم صحيح، واحترام متبادل وتعاون مخلص بين جميع أطراف الحوار [1].

ومن أهم المنطلقات الإسلامية المدعمة للحوار مع الغرب ما يلى:

١- يؤمن المسلم بصدق نبوة الأنبياء الذين تلقوا الوحى الإلهى، مثل إبراهيم وموسى وعيسى ثم خاتمهم محمد ﷺ، وكذلك بصدق أصول رسالاتهم السماوية. ويمتاز الإسلام

(١) السيد محمد الشاهد: آفاق المستقبل، ودعم الحوار بين المسلمين والغرب -نحو كلمة سواء بين الإسلام والغرب، مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مرجع سابق، ص٧٤٢.

بميزة كبرى لا تتوفر لغيره من الأديان ، وهو إيمانه بكل الديانات السماوية السابقة ، وهذه ميزة تجعله متحررا من العقد والحسابات والنفور الذى قد يشعر به الآخرون فى مثل هذه الأحوال . وفضلا عن ذلك دعا القرآن الكريم إلى ضرورة تعرف كل جانب على الجانب الآخر ، وتفهم مواقفه على قاعدة المساواة التامة، وهو ما تعبر عنه الآية القرآنية التالية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾ [الحجرات :١٣] . وقد أكد الإسلام على هذه الوحدة تأكيدا لا يقبل التأويل حين اعتبر الإساءة إلى أى فرد من أفراد الإنسانية يعد إساءة إلى الإنسانية كلها ، وفى المقابل يعد تقديم الخير إلى أى فرد واحد من الإنسانية بمثابة تقديم الخير إلى الإنسانية كلها ، وهذا ما عبرت عنه الآية القرآنية التالية: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة :٣٢] .

٢- يلى الإسلام جميع جوانب الحياة الإنسانية، المادية والعقلية والروحية بدرجات متوازية، كما يقدم منهجًا متوازيا حياتيا متكاملًا يقوم على الربط التام بين الإيمان والقول والعمل.

٣-يعد الإسلام كل عمل نافع فى الدنيا لا ينتج عنه أى ضرر لفاعله أو لغيره من البشر جزءًا من عبادة الله . ولا يسأل الإنسان إلا عما يفعل ، وإذا ما أخطأ دون قصد، أو بقصد، ثم تاب عن ذلك توبة نصوحا، فرحمة الله وسعت كل شىء . وهذا واضح فى قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام] وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام] .

٤-يقدم الإسلام للإنسان نظامًا اجتماعيا متكاملا يضم فى تناسق تام المصلحة العامة والخاصة، أو يرفض رفضًا تامًا الفصل بين الدنيا والدين، ويستمد الإسلام هذا المنهج من عصر النبوة، حيث كان رسول الله ﷺ نبيا وحاكما لأول دولة إسلامية أسسها فى المدينة المنورة ،وكتب لها دستورها الذى تضمن تنظيمًا دقيقًا لكل ما تحتاجه من مؤسسات

وقوانين، عرضت فى كتب السيرة بصحيفة المدينة[١] .

٥-الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم قادر، ولم يحاربه كما يدعى البعض. ويكفى أن أول خمس آيات أنزلت منه تأمر بالقراءة وطلب العلم قال تعالى:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق].

ويذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك فى تكريم العلماء فيقول الرسول ﷺ : « العلماء ورثه الأنبياء»[٢] .

٦-الحرية السياسية - المتمثلة فى حرية التعبير عن الرأى، والمشاركة فى الحكم- مكفولة فى الإسلام، ومنصوص عليها فى القرآن الكريم، ومطبقة فى السنة النبوية، وسنة الخلفاء الراشدين. وقد أرسى الإسلام بذلك القواعد الأولى لنظام ديمقراطى ، تتعدد فيه المؤسسات والاختصاصات .

٧-كان الإسلام ولا يزال منفتحًا على الثقافات الأخرى، وكان على المسلمين التعامل والتفاعل باستمرار مع العناصر الثقافية الغربية ، ليأخذوا منها ما رأوا فيه فائدة، وتركوا غير ذلك دون خوف على هويتهم الإسلامية. فهى ثقافة منفتحة، فالثقافة الإسلامية ليست ثقافة منغلقة ،بل هى لأصالتها وقوتها منفتحة على الثقافات الأخرى بضوابطها،فالرسول ﷺ أبقى الصالح من أحوال الجاهلية ، فأبقى الرسول ﷺ الكثير من مناسك الحج التى توارثها العرب من ملة إبراهيم مثل الطواف والسعى بين الصفا والمروة، وأبطل الطواف بالبيت فى حالة العرى كما كان بعض العرب يفعلون[٣] .ونحن كمسلمين يجب أن ندرك حقيقة ما يدور حولنا من مشكلات العصر وقضاياه، مبشرين ومقنعين غيرنا بعالمية الإسلام وصلاحياته لكل زمان ومكان، وقدرته الاستيعابية لأحداث الحياة، ومشاكل الناس وانفتاح المسلمين على كل الحضارات والمبادئ البناءة، وقابليتهم ومرونتهم للتعلم المتبادل، ولعل القرن الحالى - الحادى والعشرين- يكون قرن الحوار المستمر البناء بين الإسلام والغرب، خاصة أن الإسلام يجد موقعه فى كل بيئة وحضارة، ويستجيب لمطالب وحقوق الإنسان فى كل زمان ومكان.

---

(١) السيد محمد الشاهد : مرجع سابق، ص٧٤٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده،جـ٥ ، مؤسسه قرطبة ، مصر ، ص١٩٦ .

(٣) يوسف القرضاوى : ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مرجع سابق، ص٣٧.

٨-يجب أن تكون محاور الحوار متقاربة (مشتركة)؛ لذا يجب تشخيص أبعاد الحوار لتكون النتائج جيدة، وهذا شرط منطقى لنجاح الحوار ، بدلا من أن يكون الحوار مضيعة للوقت .أى: الانطلاق من القضايا المشتركة.

٩-أن يتسم الحوار بالموضوعية، وهذا واضح فى الآية القرآنية التالية، والتى من خلالها تأمر الرسول ﷺ بأن يدخل فى الحوار بروح موضوعية: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القصص].

١٠- التوافق بين أصحاب الحوار والموضوع نفسه:

يجب على أصحاب الحوار أن يعلموا بالموضوع وعناصره أو من يقوم بالحوار ينبغى عليه أن يكون من أهل الاختصاص، ليكون الاستدلال منتجا. وهذا واضح فى قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [غافر].

١١- بساطة المعنى ووضوح الفكر: حيث يستند الحوار مع الغرب على البساطة فى اللفظ، والوضوح فى المعنى، واليسر فى الدين، فهذا الدين الإسلامى يخاطب فطرة الإنسان، ويتعامل مع ظروفه ، ويلبى رغباته ، ويعالج قضاياه، ويربط فى تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق ووقائع الحياة، فمشكلات الناس وقضاياهم، يجدها الإنسان معروضة بصورة مبسطة ، سهلة الفهم والاستيعاب فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة[1] .

١٢- حوار يستند إلى منطق العقل ويقوم على الحجة البالغة:

لقد كتب الله تعالى فى سننه أن يكون منطق العقل تاج هذه الحياة الإنسانية، كما كتب الله فى لوح هذا الوجود أن يقوم نبى الإسلام داعيا إلى الحق بمنطق العقل هو ومن تبعه. وقد جعل الإسلام العقل حكمًا فى كل شىء ، فمن ربى على التسليم بغير عقل،والعمل بغير فقه،فهو قاصر الإيمان،حتى لو كان عمله صالحا، فليس القصد من الإيمان أن يذلل

(١) محى الدين عبد الحليم: أصول الحوار الإعلامى مع غير المسلمين بين النظرية والتطبيق، ص٨٠٠، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقدة بالقاهرة.

الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم .

فيعمل الخير؛ لأنه يعرف أنه خير، ويترك الشر ؛لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته[١].

وما أكثر الآيات القرآنية التى تطلب من الإنسان أن يفكر ويتدبر ويطلق عقله ليستنبط به، ثم يعتبر من خلال النظر إلى ما حوله من ظواهر طبيعية وحقائق علمية يؤكد ذلك ما قاله الله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم]. والحوار مع الغرب يجب أن يستبعد أسلوب الإهاجة والإثارة.

١٣- التدرج المرحلى فى الحوار مع الغرب: يعد التدرج من أبرز المناهج المناسبة للحوار مع الغرب، لا سيما أصحاب الشرائع السماوية الأخرى، نظرًا لوجود مساحة مشتركة من التفاهم بين الإسلام والشرائع الأخرى، وهنا يبدأ الحوار بالأشياء المتفق عليها ويتدرج بعد ذلك حتى يصل إلى القضايا الخلافية . ولعل رعاية الإسلام للتدرج هى التى جعلته يبقى على نظام الرق الذى كان سائدًا فى العالم كله عند ظهور الإسلام، ولو تم إلغاؤه مرة واحدة لأدى ذلك إلى زلزلة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت الحكمة فى تضييق روافده ما وُجِدَ إلى ذلك سبيل، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد ، فيكون ذلك بمثابة إلغاء للرق بطريق التدرج[٢] .

دوافع الحوار وأهدافه:

إننا فى أعين بعض أهل الغرب مجرد غزاة خرجوا من الصحراء لكى يسيطروا على العالم وليسفكوا الدماء، ويهدموا الحضارات ، وفى أعين بعضهم الآخر لسنا إلا هرطقة من هرطقات المسيحية المنشقة عنها، ومن وجه ثان نحن نبدو لهم أصحاب دين لا يهدف إلى هداية البشر بقيم الأخلاق والروح والسلم بقدر ما يهدف إلى احتياج السلطة السياسية، والقوة العسكرية لممارسة الإكراه والعدوان ،ومن وجه ثالث لا يرى فينا الغلاة من أهل الغرب إلا برابرة معادين لقيم الحرية والمساواة والكرامة والعدالة الإنسانية وحقوق الإنسان، لا نعبد الله بقدر ما نعبد الجنس والشهوة والاستبداد والخنوع أيضًا[٣] .

أما الغرب فى أعيننا، فيتمثل فى نزعة الهيمنة والسيطرة، وفى العداء المبيت المنظم والتآمر

---

(١) المرجع السابق : ص٨٠٠، ٨٠١.
(٢) يوسف القرضاوى: مدخل لمعرفة الإسلام ، ص١٢٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.
(٣) خالد محمد الأصور : مرجع سابق، ص١٦٦.

على مشاريعنا وتطلعاتنا، ولا نتصور الغرب إلا فى مسوح المادية الصارخة، وفى العلمانية المعادية للدين ، وفى الليبر إلية، وفى الفساد الأخلاقى والاجتماعى ، وأمور كثيرة لا تثير فى نفوسنا الا النفور والعداء والكراهية، وكل هذا وذلك يقال من هذا الطرف أو ذاك ، ولا يخفف من حدة ذلك

ألا تلك الجهود المحدودة التى لا يدخر أصحابها وسعا فى أن يبينوا لأقرانهم أن فى ذلك كله مبالغات لا مسوغ لها ، وأوضاعا ينبغى الانعتاق منها لرؤية المناطق المضيئة التى تبعث على الإعجاب والتعاطف والتواصل وراء أحقاد الماضى وكراهيات الحاضر وهواجس المستقبل ،فنتبين إلى أى مدى نستطيع إقامة علاقات إيجابية مع هذا الغرب فى المستقبل ، وما هى طبيعة التواصل أو الالتقاء أو الحوار أو التنابذ أو التنافر أو العداء التى يمكن أن توجه إليها هذه الأسس[1] .

وأعلن الرائد اللاهوتى الألمانى البروفيسور " هانز كونج " وهو أحد المهتمين بمسألة الحوار أنه " بدون سلام بين الأديان ، سيكون هناك حرب بين الحضارات ، ولا سلام بين الأديان بدون حوار بينهم ، ولا حوار بين الأديان بدون البحث فى أسسها " فما الذى يجب عمله إذًا ؟ ماذا يمكن أن نفعل ؟ ما هى العلاقات الجديدة التى يجب علينا أن نسعى لتكوينها ؟

الإجابة على هذه الأسئلة عن طريق أربع مقولات لتغيير التوجه :

١-الصداقة لا العداء . ٢-التفهم لا الجهل.

٣-الانفتاح لا الانغلاق. ٤-التعاون لا المجابهة

١-الصداقة لا العداء :

لقد اخترت – كما يقول الأسقف " كانتربرى " فى محاضرته بجامعة الأزهر – كلمة "الصداقة " مفضلا إياها على كلمة " التسامح " من أجل المعانى المتعددة المرتبطة بالكلمة الأخيرة ، فأنا – الأسقف- مع التسامح الحقيقى، لكن هناك فهم علمانى ضيق يجب أن نراقبه بحذر وهو الرأى الذى يساويها باللامبالاة التى نشعر بها تجاه الأشياء التى لا تهم وهذا ليس بتسامح حقيقى ، ولكن التسامح الحقيقى يظهر عندما يعتنى الناس من أعماقهم بمعتقداتهم ، وفى نفس الوقت يظلون قادرين على احترام حق الآخرين فى اعتناق

(١) المرجع السابق ، ص١٦٧.

معتقدات مخالفة ، وأن يعيشوا فى سلام معهم [١] .

٢-التفهم لا الجهل:

إن جهل بعضنا ببعض لهو أمر جد خطير ، فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة ، وهو نبع من الخوف وسوء الفهم والتعصب ، وقد تتبع كتاب صدر فى (١٩٩٣م) للدكتور (عزيز العظمة) الطريقة التى بها فهم الإسلام فى الغرب عبر العصور المختلفة ، حيث أظهر التشوهات التى تعرض لها الإسلام ، عبر ثلاثة عصور ، فحتى زمن حركة الإصلاح فى القرن السادس عشر وجد الإسلام كدين متعصب وشرير ، وفى خلال عصور التنويرفى القرن الثامن عشر كديانة غريبة ، أو بالأحرى سخيفة وفى العصر الحديث كدين يجب الخوف منه.

٣-الانفتاح لا الانغلاق :

إذا كان للحوار أن يستمر من خلال الصداقة فلا مناص من أن نتناول مسألة الانفتاح التى تطرح نفسها بإلحاح ، فإذا كنا حقا ننشد السلام والتآلف على ظهر هذا الكوكب الصغير المزدحم؛ فيجب أن تكون روح الصداقة والاحترام متبادلة بيننا وبين هؤلاء الذين يخالفوننا فى العقيدة.

٤-التعاون لا المجابهة :

أى يجب إقامة علاقات متداخلة تقوم على مصالح مشتركة ، وكذلك محاولة تفهم الآخر –الغرب- وتقبله كما هو ، دون أن يعنى ذلك تطابق جميع الآراء والاتجاهات والموافقة عليها ، فالتعاون شأنه شأن التعددية ، وهى تعنى احتفاظ كل فريق بخصائصه وصفاته وقبول الآخر على حاله، وإلا انتفى التعاون والتعدد ، ولابد فى هذا المجال من التفرقة بين الأفكار والمواقف ، وبين التعاون وتبادل العلاقات الثقافية ، وكذلك لابد فى المجال الدينى من التفرقة بين العقيدة والمعاملة ، فإن المرء يمكن أن يحتفظ بآرائه وبمواقفه القومية والوطنية وبعقيدته الدينية وفى نفس الوقت يقيم علاقات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية مع من يخالفه [٢]. قال تعالى فى ذلك : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

(١) المرجع السابق ، ص١٦٧.
(٢) خالد محمد الأصور : مرجع سابق ، ص ١٦٨، ١٦٩.

سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل] .

شروط الحوار ووسائله :

يكون الحوار المسؤول الوسيلة المهمة والأساسية لتصحيح صورة الإسلام فى الغرب ؛ إذ بالحوار ينفتح العقل والفكر على مجالات الوعى والفهم المتبادل لكل من الجانبين ، لاختلاف الجهات ، والجنسيات والعقائد ، والحضارات. وبالحوار المؤمن بشرعية الاختلاف نتجاوز مرحلة الصراع ، وعقدة العالم الجديد فى الهيمنة والسيطرة ، ولا يتم ذلك إلا بالفهم العميق لبيئته وعقليته ، وجميع مشاكل العصر وأيديولوجياته ، ومن ثم نظم الإسلام آليات (وسائل) الحوار، والتى من أهمها:

١-الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى احسن كما جاء فى قوله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] .

٢-الإقناع بالبرهان ، كما جاء فى قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة] .

٣-الاعتدال وإقامة الحجة على الناس ، كما جاء فى قوله تعالى :﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

٤-الدفع بالتى هى أحسن : كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت] .

وبهذه الآيات ، وهذا الأسلوب والمنهج ،حاور الرسول ﷺ أعداءه وخصومه على مختلف مستوياتهم وعقائدهم وطبقاتهم ، حتى أولئك الذين قاطعوه وحاصروه سواء فى المرحلة المكية أو المدنية ، وهو ما يقتضى منا الاقتداء بالقدوة الحسنة الرسول ﷺ، وذلك بالعمل على فهم الآليات – الوسائل – المتحكمة فى العلاقات بين الأمم والشعوب ، وتجنب التعامل مع أطروحات (صراع الحضارات) (وصدام الثقافات)،(ونهاية التاريخ)، وحتى نفوت الفرصة على أصحاب تلك النظريات والأفكار .

ولكى يأخذ الحوار بأسباب النجاح ينبغى ان تتوافر فيه الشروط التالية :

١-أن يكون الحوار متكافئًا: أى: المساواة التامة بين أطراف الحوار، أى : تتوافر له شروط المساواة والندية والإرادة المشتركة، وأن تتعدد مستوياته وتتفاوت درجاته، بحيث يكون حوارًا شاملا، يدور على مختلف الفئات والشرائح، وعلى المستوى الحكومى، وعلى صعيد المؤسسات الأهلية ذات العلاقة بالقضايا والمجالات التى تحدد لهذا الحوار ، فالحوار كما هو معروف يتطلب أن يكون هناك طرفان أو أكثر كل منهما ند للآخر ، فليس هناك حوار حقيقى بين طرف يفرض إرادته ويملى شروطه ،وطرف ضعيف لا حول له ولا قوة.

٢-الاعتراف بالآخر : لا يكتمل الحوار إلا بالاعتراف بالآخر ، والإسلام يعترف باليهودية والمسيحية (النصرانية) ، وأصحابها لا يعترفون بالإسلام كدين سماوى ، فإذا غاب هذا الشرط فلا اعتراف بالتعددية ، ولا إمكانية لقيام حوار حقيقى بين الأديان ، ورغم ذلك ومع الواقع الراهن فلا بأس من الحوار ؛ لأنه يحقق بعض المكاسب المرجوة ، فهناك إتاحة الفرصة للتعارف بين الناس ، وهناك إتاحة الفرصة لكشف الحقائق وتبديد الأوهام والأكاذيب والشبهات ، وقد حدث تعاون بين المسلمين والمسيحيين فى بعض المؤتمرات الدولية الأخيرة – مؤتمر السكان الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ م – دفاعًا عن الأسرة الشرعية ، ويستطيع أهل الديانات المختلفة بالحوار أن يتعاونوا فى حقل القيم والأخلاق [١] .

٣-أن يكون هناك قضية يتحاور الجانبان بشأنها : ولا بد فى هذه الحالة أن تحدد بدقة عناصر القضية حتى لا يدور الحوار فى حلقة مفرغة . ولا يستثنى من الحوار إلا القضايا التى تدخل ضمن اختصاصات السيادة فى الدول العربية الإسلامية .

٤-وضوح الغاية من الحوار : هل الحوار لمجرد الحوار ؟ أم أن هناك غاية يراد تحقيقها والوصول إليها ؟ ونخشى أن يغدو الحوار هواية ووسيلة تسلية وأن يعزل عن دوره البناء فى خدمة المجتمع وتطويره[٢] – خدمة البشرية جمعاء- وفى النهاية يحقق الحوار منافع مشتركة لأطراف الحوار ، بحيث يكون لهذا الحوار تأثير إيجابى على مجمل العلاقات بين الإسلام والغرب .

٥-وجود مناخ مناسب للحوار : لذلك فأى حوار ناجح لا يجوز أن تكون غايته العمل

(١) خالد محمد الأصور : مرجع سابق ، ص ١٧٠.
(٢) محمود عكام : مرجع سابق ، ص ٣١.

على إلغاء الطرف الآخر أو استبعاده أو التقليل من شأنه ، ومن ثم احترام المتحاورين بعضهم ، وأن يكون الحوار متحضرًا ، ولا يعنى الحوار بأى حال من الأحوال محو الهوية الخاصة لكل من الديانات الثلاث – اليهودية والمسيحية والإسلامية – أو تنازل أصحابها عن بعض معتقداتهم لصالح أى طرف ، فهذا أمر غير وارد ، ومن ثم يجب تجنب المسائل ذات الحساسية التى تؤدى إلى التأثير على إيجابيات الحوار

٦-**الإنصاف** : أى الإقرار بما هو خطأ وما هو صواب ، وبغياب الإنصاف تغيب حتمًا الحقيقة ، ووجود الإنصاف تبدو الحقيقة ، فالقضية موضوعية ، وليست ذاتية [١] .

٧-**المرجع المتفق عليه فى الحوار** : والحَكَم ينبغى توضيحه فى الحوار . لقد رضينا شرع الله ، وعلى الآخرين أن يبينوا ما يريدون[٢] .

ويتعين علينا – كمسلمين- أن يوفد إلى مؤتمرات الحوار من يستطيع مجاراة الناس والتفاهم معهم وتفاهم مراميهم، واستغلال حسن النوايا وتشجيعها وتأييدها والانتباه لسيئها والاحتراز منه ، وتعريته والتحذير منه ،وفى هذه الحوارات توجد الفئتان، أى: حسنو النوايا ، صادقو العزائم ، متفتحو العقول والقلوب ، وكذلك الخبثاء ممن يكيدون للإسلام وأهله ، ويقض مضجعهم تفاهم أهله مع الغرب ، أو تفهم الغرب حقيقته ، وكلا الطرفين جدير بالحوار ، ولكل فئة مراميها ، ولكل منهما طريقتها ، ولكن ما هو الأسلوب الذى يصلح للتفاهم معها ، وليس أضر على الإسلام من الانكماش وترك المساحة لمن لا يرجون له ولأهله الخير سواء كانوا ممن ينتسبون إليه زورًا وبهتانا ، أو ممن يجهلونه ولكنهم لا يكفون عن لىّ ألسنتهم بما يعيبه، ولا علاج لكل ذلك إلا بالخروج إليهم ومنازلتهم حتى يتبين الخبيث من الطيب[٣] .

٨-**تأجيل ما ينكأ جرحًا ، أو يذكى نارًا** : وذلك حتى يتثنى وجود إستراتيجية استمالة القلوب أولًا ،والإحسان إلى من يظهر بعض الشىء من الاعتدال فى ذلك .

العوامل المؤثرة فى دعم الحوار :

١-طى صفات الصراع ، والاختلاف والتناحر بين الإسلام والغرب ، وعقد النية الصادقة لبناء مستقبل مشترك آمن ، متعاون ، أساسه الحوار والتسامح والاحترام المتبادل.

٢-دعم وسائل الإعلام وأدواته فى العالم الإسلامى ببرامج ثقافية منهجية عن الإسلام

(١،٢) المرجع نفسه ، ص٣٢.

(٣) خالد محمد الاصور : مرجع سابق ، ص١٧١.

وقيمة العليا ، ومبادئه السامية ، وإظهار مكارمه ومزاياه .

٣-تقوية البناء الداخلى للعالم الإسلامى بأكمله ؛ لأن مصدر ضعفنا يكمن فى عدم الوفاء بمقتضيات التضامن الإسلامى بكل أبعاده ومقاصده وغاياته ؛ لذا ينبغى أن ننسق الجهود ، ونتبادل المنافع والمصالح فيما بيننا ، ويحترم بعضنا البعض ، بالمعنى الأخلاقى والدستورى للاحترام .

٤-تحفيز العوامل الذاتية : أى أن حوار الإسلام والغرب – المسلمين مع الغرب – لابد أن تتوفر له الرغبة والإرادة والمصلحة ، كذلك العوامل النابعة من الذات ، لذلك فإن حوارنا مع الغرب سيظل مرتبطًا بأحوالنا الداخلية وبأوضاعنا السياسية والاقتصادية ، وليس معنى ذلك أننا ستوقف عن الجهود المبذولة التى نبذلها من أجل التقارب والتواصل مع الغرب ، وإلى أن نبلغ المستويات الراقية من التقدم التى تؤهلنا لاكتساب شرط التكافؤ والندية مع الغرب ، ولكن نقصد بالمعنى هنا أن تتكامل جهودنا وتترابط مساعينا ، نرسمها لأنفسنا ، وهذا يقتضى أن نعمل دائمًا من أجل إقناع الغرب بأننا جديرون معه على كل المستويات،وبأننا أمة إسلامية قابلة للتعايش والتعاون الشاملين مع كل الأمم والشعوب، وأن التعاون والتعايش والتسامح قيم ثابتة وراسخة فى حضارتنا[1].

٥-تجديد الخطاب الدينى : وذلك لمواكبة روح العصر – مستجدات العصر – التى يعيشها الإنسان فى عصر العولمة ، فالإسلام دين الحضارة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى ، فالتجديد فى العلوم الشرعية أمر مهم ، وقد دلت السنة النبوية على حاجة الدين إلى التجديد ، وإن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد فى الأمة ، فالتجديد فى الخطاب الدينى لا يتحقق بالخيال أو الأمانى، وإنما يقوم على الجهد والعلم الذى يكشف عن الجديد المتميز فى نوعه أو الجديد الأصيل الذى له قيمة ومنفعة ، والتجديد الذى نعنيه هو كيفية نقل هذه الصورة للإسلام الحضارى إلى الآخر بأسلوب نريد أن يأخذ ساحة الحداثة والتجديد فى الشكل والمضمون .

التأكيد على ثقافة الحوار الإيجابى بين الإسلام والغرب :

ينبغى تأصيل « ثقافة الحوار الإيجابى » فى حياتنا العملية عبر استمرار وتواصل العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية ؛لأن القطيعة السياسية بين العالمين الإسلامى

---

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجرى : آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، ص٧٠٢- ٧٠٣ بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقد بالقاهرة.

والغربى ، ليست فى مصلحة أى من الطرفين ؛ لذلك لابد من تفعيل « ثقافة الحوار الإيجابى » بشكل دائم بين الإسلام والغرب فى إطار التفاهم ، وبما يخدم المصالح العليا للإسلام ،فالإسلام كان أول الأديان السماوية الذى دعى إلى الحوار والتعارف والتعاون ، ولم يكتف الإسلام بالدعوة إلى الحوار فقط ، بل رسم لنا منهج الحوار بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦] ، فالإسلام – الدين الإسلامى – يأمر المسلمين بالحوار مع الآخرين – غير المسلمين .

فالقرآن الكريم بين بوضوح القواسم المشتركة وحض عليها ، وصرف النظر عن الأمور الأخرى ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى سيفصل بين الناس يوم القيامة ، كما جاء فى قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج] . من هذا المنطلق فإن المسلمين يضمنون لأتباع الديانات الأخرى حرية ممارسة عقائدهم الدينية كما يشاؤون ، كما أن المسلمين يضمنون حتى للكفار حرية ممارسة دينهم كما جاء فى قوله تعالى :﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون] .

وإذا كان الإسلام يطلب الحق والعدل ويدعو إليه، فإن الوسيلة لإقرارهما تبتدئ بالحوار الذى دعا إليه الإسلام .

مستويات الحوار:

يشير البعض إلى أن هناك ثلاثة مستويات للحوار [(١)] :

١ . المستوى الأول:الحوار مع النفس ومحاسبتها وحملها على الجادة وطلب الحق ، ويكون هذا فى شكل حوار داخلى مستمر بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة حتى يصل الإنسان إلى الاطمئنان .

٢ . المستوى الثانى: الحوار بين أفراد المجتمع الإسلامى وفق اجتهاداتهم المختلفة، عملًا بمبدأ التعاون فى الاتفاق والاعتذار فى الاختلاف "حفاظًا على وحدة الصف

---

(١) محمد وجيه الصاوى: مرجع سابق ، ص١١٨.

الإسلامى".

٣. **المستوى الثالث**: الحوار بين المسلمين وغير المسلمين الذين يشتركون معًا فى إعمار الكون، وهو حوار يجرى وفق مبدأ التدافع الذى يمنع الفساد ،وينمى عوامل الخير.

والبعض يرى تقسيم آخر لأبعاد الحوار : ومن أمثلة ذلك [١] :

أ- الحوار بين المسلمين المختلفين فى الشؤون الشخصية.

ب- الحوار بين المختلفين فى القضايا الاجتماعية

ج- الحوار بين الفقهاء.

د- الحوار العقائدى .

هـ- الحوار بين الأديان .

و - الحوار بين الحضارات.

وإن عالمية الإسلام تعنى أن هناك حضارات متعددة ومتميزة ،أى أنها ليست متماثلة، وأيضا ليست منغلقة منعزلة ومعادية، وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه،أى أن هناك مشترك بين كل هذه الحضارات، وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى ، وبين كل هذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه هذا هو البعد العالمى أو هذه هى العالمية فى الكوكب الذى نعيش فيه[٢]، ومن ثم فغاية الحوار فهم الآخرين – الغرب- وإقناع الآخرين – الغرب – بوجهة نظر معينة.

وهناك حوار إيجابى وحوار سلبى، فالحوار السلبى يعوق الحركة الصحيحة الإيجابية التصاعدية للفرد والمجتمع والأمة ، وللأسف فكثير منها سائد فى مجتمعنا،أما الحوار الإيجابى فنسعى لترسيخه بيننا وله مواصفات معينة، وتنفيذ ذلك يحتاج إلى وقت وصبر، ولكن لا مناص من المحاولة والصبر والمثابرة، فعلى أساس الحوار ينبنى السلوك وتتشكل العلاقات وينهض الفرد والمجتمع والأمة ، ويتعايش الجميع فى سلام وأمن ووئام .

والحوار الإيجابى الصحى هو الحوار الموضوعى الذى يرى الحسنات والسلبيات فى ذات الوقت، ويرى العقبات ،ويرى أيضا إمكانية التغلب عليها، وهو حوار متفائل وهو

---

(١) المرجع نفسه : ص١٧٦.

(٢) محمد عمارة: العولمة وقضايا الفكر الإسلامى ، ص١١٨«أبحاث ندوة الإسلام والعولمة »، الدار القومية العربية، القاهرة ١٩٩٩م.

حوار صادق عميق وواضح الكلمات ومدلولاتها وهو الحوار المتكافئ الذى يعطى لكلا الطرفين فريضة التعبير والإبداع الحقيقى، ويحترم الرأى الآخر، ويعرف حتمية الخلاف فى الراى بين البشر وآداب الخلاف وتقبله ، وهو حوار واقعى يتصل إيجابيا بالحياة اليومية الواقعية ، واتصاله هذا ليس اتصال قبول ورضوخ للأمر الواقع، بل اتصال تفهم وتغيير وإصلاح ، وهو حوار موافقة حين تكون الموافقة هى الصواب ومخالفة حين تكون المخالفة هى الصواب، فالهدف النهائى له هو إثبات الحقيقة ، حيث هى لا حيث نراها بأهوائنا، وهو فوق كل هذا حوار تسوده المحبة والمسؤولية والرعاية وإنكار الذات[١] .

حوار الحضارات:

الحوار مفهوم بناه القرآن الكريم – أولًا – فى حضارتنا، وغرسه فى تصورنا، وفى رؤيتنا الكلية ، وجعله جزءًا من بنائنا العقلى والنفسى، بحيث لم يعد ممكنا تصور الاستغناء عنه فى أى جانب من جوانب الفكر والتصور والسلوك . "والحضارات" جمع "حضارة" وللحضارة معنيان، معنى لغوى وآخر اصطلاحى.

تعريف الحضارة لغة:

فالحضارة – بكسر الحاء وفتحها – تعنى الإقامة فى الحضر، وأن مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى فى الحضر[٢] . وأورد صاحب القاموس المحيط أن معناها ضد (غاب)، والحاضرة والحضارة ويفتح خلاف البادية[٣] .

وجاء فى لسان العرب مجموعة المعانى التالية:

الحضور نقيض المغيب والغيبة، وبمعنى "عنده" نقول : كنا بحضرة ماء، ورجل حاضر، قرب الشىء : الحضرة، وتقول: كنت بحضرة الدار. الحضر خلاف البدو ، والحضارة الإقامة فى الحضر. الحاضرة: الحى العظيم[٤] . هذا فى اللغة العربية، أما فى اللغة الإنجليزية فكلمة حضارة (civilization) مشتقة من كلمة (civilas) فى اللاتينية بمعنى المدينة أو من (civis) بمعنى مساكن المدينة أو من (civilis) بمعنى مدنى أو ما يتعلق بساكن المدينة حيث تقوم الحياة الحضرية عادة فى المدن[٥] .

---

(١) محمد وجيه الصاوى : مرجع سابق ، ص١٧٩ – ١٨٠.

(٢) المعجم الوسيط : مادة (حضر) ١/ ١٨٧ – مجمع اللغة العربية.

(٣) القاموس المحيط "الفيروز آبادى" ، مادة "حضر" ، ٢/ ١١ طبعة دار الجيل – بيروت.

(٤) ابن منظور الأفريقى : لسان العرب، مادة "حضر" ، ٢/ ٩٠٧ – دار المعارف.

(٥) طه جابر العلوانى : قضايا إسلامية معاصرة ،" الخصوصية والعالمية فى الفكر الإسلامى المعاصر" ، ص ١١٤، دار الهادى

ويستخدم بعض العلماء فى مقابل كلمة حضارة كلمة (culture) التى تعرف بالعربية بلفظ " الثقافة " ، وهذا الأخير من ناحية اشتقاقه اللغوى مأخوذ من اللاتينية ، ويراد به إصلاح الشيء وتهذيبه وإعداده للاستعمال ، ومن هنا قالوا: (Agriculture) أى إصلاح الأرض وزراعتها ، أى أن الثقافة فن تهذيب العقل ... ،ومن ثم فإن لفظ: (culture) يفيد طريقة شعب ما فى الحياة ، ومجموعة أنظمته وكذلك نظرته إلى الحياة والكون [١] .

تعريف الحضارة اصطلاحيا :

ظهرت تعريفات متعددة ومتنوعة " لظاهرة الحضارة " وصيغت هذه التعاريف بصيغة التخصص، وتأثرت بزاوية التناول التى يعتمدها الباحث فى دراسته ، فظهرت للحضارة تعاريف أنثروبولوجية وفلسفية وتاريخية وحضارية ، وبنيت مناهج لدراسة الحضارة ، منها المنهج الوصفى، ومنها التاريخى، ومنها التحليلى ، والوظيفى ، أما على مستوى التقويم الفكرى فهناك تعاريف ولدت ضمن إطار الوعى العقدى الغربى ، وأخرى صيغت استجابة للنموذج الكونى التوحدى[٢] .

وقد أشار " ول ديورانت " فى كتابه قصة الحضارة فى العصر الحديث إلى أن الحضارة هى : « نظام اجتماعى يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى » [٣]، والحضارة تتألف من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية ، والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ، وستابعة العلوم والفنون ، وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق [٤] .

ويعرف ابن خلدون الحضارة : بأنها ذلك النمط من الحياة المستقرة والذى يناقض البداوة ، فينشئ القرى والأمصار ، ويضفى على حياة أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع ، والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية[٥] .

النشأة المعاصرة لفكرة حوار الحضارات :

من الصعب تحديد تاريخ دقيق لهذا الذى صار يعرف فى أيامنا هذه بـ «حوار

للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ، ط ١ ، ٢٠٠٣م.

(١)المرجع السابق نفسه : ص ١١٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه : ص ١١٥.

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة : زكى نجيب محفوظ ، ١/ ٣، ٤ ، ط الرابعة، ١٩٧٣م.

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة : تحقيق : على عبد الواحد، ص ٤٧٨ ، دار نهضة مصر ، ط ٣ ، القاهرة ، د . ت.

(٥) ابن خلدون: مرجع سابق، ص٤٧٩.

الحضارات » ، لكننا بشىء من التجوز والتساهل ، يمكننا أن نربط بين قيام « عصبة الأمم» وانتهائها وعجزها عن الحيلولة دون وقوع الحرب العالمية الثانية . ثم قيام « الأمم المتحدة» «ونشأتها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فلقد أحس العالم – كله – المنتصر والمغلوب بالحاجة الماسة إلى تحقيق سلام وبناء أمن عالمى [1] .

لقد ظن(هيجل) وغيره أن " فتح نابليون " لأوربا كان " نهاية التاريخ " وبلوغ البشرية القمة بقيادة أوربا أو (الغرب) الذى كانت تمثله آنذاك ، وأنه لم يصنع بعد ذلك التاريخ تاريخ ، ولكن خاب ظن هيجل وغيره ، فالحروب الصغيرة لم تنقطع ، وفى النصف الأول من القرن العشرين وحده قامت حربان كونيتان شكلت كل منها تهديدًا للعالم – كله – ولم تلبث أن نشبت – بعدها – الحرب الباردة التى لم تنته إلا بتفكيك الاتحاد السوفيتى ، واستمرت الحروب الصغيرة ولم تتوقف، ولم تستطع الأمم المتحدة ولا غيرها إحلال الحوار محل الصراع فى سائر القضايا الساخنة التى شهدها العالم ، وإذا حدث شىء فإنما هى مفاوضات لا حوار .

وحين نبحث عن فكرة الحوار وكيف راجت فى العالم الإسلامى حتى بادر إلى تبنيها كثير من القادة ، وروجت لها منظمة المؤتمر الإسلامى ، ودعا إليها كثير من الأكاديميين والمفكرين ، وعقدت بعض المؤتمرات حولها ، نجد أنها راجت لأن كثيرًا من المسلمين يظنون أن خصومة الغرب لهم خصومة مبنية على جهل الغرب بهم ، وأن الحوار سيبنى جسورًا، وسوف يعرف الغرب بالإسلام والمسلمين ، ومن التعارف سيكون التآلف والتعاون ، وينتهى الصراع .

كما أن البعض ظنوا أن الترويج لفكرة الحوار سيقابل الترويج لفكرة الصراع ، ولعله يهزمها ، وكأن الصراع وأفكار الصراع طارئة متحولة فى الشخصية الغربية يمكن إيقافها بذلك الشكل البسيط .

وهنا لابد أن نذكر بأن الشرط الأساسى لبدء أى حوار هو الاستعداد الدائم لدى الأطراف المتحاورة لقبول نتائج الحوار . أما حين لا يكون هذا الاستعداد غير متوافر فإن الحوار – آنذاك – يكون مجرد محاولة من الطرف الأقوى لإقناع مواطنيه وغيرهم إن أمكن بشرعية فعله وعدالته بعد ذلك ، وأنه قد أعطى لخصمه الفرص المناسبة لتلافى الصراع ، ولكن ذلك الخصم عنيد – مهما كان ضعيفًا – وكان مصرًا على موقفه ، وكأن الحرب التى

---

(١) طه جابر العلوانى : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

سيشنها – بعد ذلك – فرضها عليه ذلك الضعيف فرضًا ، فى حين أن الضعيف كان يتمنى فرصة الإفلات من تلك القبضة والتخلص من مصير قاتم لا يخفى عليه [١] .

ويمكن الاستشهاد بهذا النوع من الحوارات بحوارات السلطة الفلسطينية مع الكيان الصهيونى ، وحوارات الحكومة العراقية مع الولايات المتحدة الأمريكية قبل الغزو الأمريكى للعراق ، وحوارات الولايات المتحدة مع كوريا الشمالية ، وإيران ، ... وغيرها وهذا يطلق عليه – طمسًا للحقائق: " حوار " . ويستطيع المراقبون لهذا النوع من الحوارات أن يجسد الكثير من النماذج، فإذا قام بتحليلها وتقويمها فإنه سيكتشف الكثير والكثير من خصائص الحضارة الغربية ، والفكر الذى يقود حركتها ، والرؤية الكامنة وراء منظومة القيم التى تفسر الكثير من إجراءاتها ، التى فيها : عدم الإنصاف والعدل ، والتعصب والكراهية ، والتعالى .

نحو أبعاد معرفية لحوار الحضارات :

إن الحديث المكرر والمعاد الذى يكثر تداوله فى العالم الإسلامى عن حوار الحضارات وتنادى بعض القيادات السياسية الإسلامية بالإلحاح فى المطالبة به ، وتكريس مبادئه، هو حوار من طرف واحد، ويريد أن يعطى لنفسه صفة الشريك فى صناعة صياغة القرار العالمى. لقد صار الحديث عن حوار الحضارات يمثل حالة بالغة التعبير عن عمق الأزمة التى يعيشها الفكر العربى والإسلامى [٢] . وتتجلى هذه الأزمة فى حالة التبعية الظاهرة المتمثلة فى نقل الأطر النظرية الفكرية وتبنيها بصورة أيديولوجية ، أو فى التبعية الكامنة، وجوهر الأزمة : من يحدد الإشكالات،ويثير القضايا ، ويحدد مجالات البحث – الحوار – وهذا يقع خارج البيئة الفكرية والاجتماعية العربية والإسلامية ويتحرك فى إطار نموذج معرفى ومعطيات اجتماعية وتاريخية ، ومصالح اقتصادية وسياسية وقيم وأهداف مختلفة ، وإن لم تكن متعارضة بل متناقضة مع تلك التى يتحرك فى إطارها الباحث والمفكر العربى والمسلم، فإنها لا تلتقى معها بأى حال من الأحوال [٣] .

وبعد طرح صموئيل هينتجتون فى مقاله: " صراع الحضارات " بدأ العقل العربى والمسلم ينشغل بهذه القضية ، وبدأت تستحوذ على أولوياته دون أن يكون ذلك نابعًا من

---

(١) طه جابر العلوانى: قضايا إسلامية معاصرة ، الخصوصية والعالمية فى الفكر الإسلامى المعاصر، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٢) طه جابر العلوانى : الأزمة الفكرية المعاصرة : تشخيص ومقترحات علاج ، ط ٢ ، فرجينيا ، المعهد العالى للفكر الإسلامى ١٩٩٢م.

(٣) طه جابر العلوانى : قضايا إسلامية معاصرة ، الخصوصية والعالمية فى الفكر الإسلامى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٣٠

إحساس عربى إسلامى بضرورة الحوار مثلًا أو كونه ضرورة اجتماعية أو مصلحة سياسية للمجتمعات العربية والإسلامية ، ودون أن ينبع هذا الطرح من داخل هذه المجتمعات ، بل جاء من خارجها وألقى عليها ، وقد حاول العقل العربى والمسلم أن يقدم إجابات عن سؤال لم يفكر فيه ولم ينبع منه، ولم يمثل إشكالية فكرية ملحة على الأقل فى المرحلة الراهنة لهذا العالم العربى والإسلامى، إذا ما قيس بما يواجه هذه المجتمعات من قضايا وتحديات أخرى حتى أذهان أصحاب بعض المبادرات فى الموضوع [١] .

وبغض النظر عن موضوع هذه القضية فى إطار أولويات الاهتمام فى الفكر العربى والإسلامى ، فإنه ينبغى التأكيد على أن الاهتمام بها حاليا يعكس حالة من ردود الأفعال ، وليس الأفعال ، ويعبر عن وضعية معينة تصنع فيها الإشكاليات – الإشكالات - خارج الحدود ويتم تصديرها ، فبعد أن كانت تقدم إلينا الحلول سابقة التجهيز ، أصبحت الآن ومع التطور الفكرى فى العالم العربى والإسلامى تقدم إلينا الإشكاليات كما هى، فننشغل بقضايا لم تكن نابعة من ذواتنا أو معبرة عن همومنا واهتماماتنا ، ولذلك فإن التركيز على نقد محاولات الانشغال بهذه القضية لا ينبغى النظر إليه على أنه مصادرة للمطلوب ، أو دعوة لغلق باب الحوار حول القضية ، ولكنه فقط لإثارة الانتباه إلى قضية معرفية أكثر خطورة وأهمية، ينبغى التركيز عليها والتيقظ لها ، وإثارة الانتباه إليها [٢] .

رؤية مستقبلية إلى التفاعل بين الحضارات :

لقد صدرت الدعوة إلى الحوار بين الحضارات من العالم الإسلامى، تأكيدًا للتفاعل فيما بينها ، حيث كان الرئيس الإيرانى السيد محمد خاتمى فى فترة رئاسته لمنظمة المؤتمر الإسلامى ، أول من اقترح على الأمم المتحدة أن تتبنى الفكرة ، وتعلن سنة دولية للحوار بين الحضارات ، وبناءً على هذا الاقتراح ، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا يجعل سنة ٢٠٠١م (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات) ، وكان للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم – أيسيسكو- دور مهم فى تنفيذ العديد من الأنشطة حول الحوار بين الحضارات ، ممثلة للعالم الإسلامى ، بناء على قرار صادر عن المؤتمر الإسلامى لوزراء الخارجية [٣] .

ولقد اهتم العالم الإسلامى ممثلًا فى المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ،منذ

(١،٢) طه جابر العلوانى : قضايا إسلامية معاصرة ، الخصوصية والعالمية فى الفكر الإسلامى المعاصر،مرجع سابق،ص ١٣١.

(٣) عبد العزيز بن عثمان التويجرى : مرجع سابق ، ص ٣٥١.

وقت مبكر بقضايا الحوار والتفاعل بين الحضارات ، وذلك فى مستوياته الثلاثة :

- الحوار بين الحضارات .
- الحوار بين الأديان .

وقامت المنظمة بتأصيل علمى لمفهوم الحوار ، ولتفاعل الحضارة الإسلامية مع الحضارة الغربية – الحضارات الأخرى – من خلال منهج تاريخى استقرائى قادها إلى نتيجة مفادها .

أن مفهوم الحوار فى الفكر السياسى والثقافى المعاصر من المفاهيم الجديدة حديثة العهد بالتداول ، فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولى ، إذ لا يوجد له ذكر أصلًا فى ميثاق الأمم المتحدة ، ولا فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، ولا فى العهد الدولى الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية ولا فى العهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ، ولا فى إعلان مبادئ التعاون الثقافى الدولى[1] .

ومن ثم، فإن الحوار مفهوم سياسى أيديولوجى ثقافى حضارى ،وليس مفهومًا قانونيا.

ويكتسب الحوار فى تراثنا الثقافى والحضارى معنى عميقًا يدل على قيم ومبادئ هى جزء أساسى فى الثقافة والحضارة الإسلاميتين . فالحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية ، وهو وسيلة من وسائل التفاعل بين الحضارات ولمنع حدوث الصدام .

والحوار فى الإسلام يقوم على منطلقات، منها ما يلى :

١-الاحترام المتبادل . ٢- الإنصاف والعدل .

٣-نبذ التعصب والكراهية . ٤- التعايش بين الأديان .

وانطلاقًا من الرؤية إلى الحوار والتفاعل ، فإن الحوار الذى يؤدى إلى التفاعل ويحقق الأهداف الإنسانية العامة، لابد وأن يسير فى اتجاهين رئيسيين هما :

الأول : إزالة الأسباب والعوامل والمشكلات التى تعوق التعاون بين الأمم والشعوب من أجل ما فيه الخير والمنفعة والمصلحة لهما جميعًا ، والعمل على معالجة تلك القضايا والمسائل الشائكة التى تتسبب فى زعزعة استقرار المجتمعات والشعوب ، وأن يتم هذا كله

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجرى : مرجع سابق ، ص ٣٥٢.

فى إطار القانون الدولى .

الثانى :أن الحوار يتم بين الأفراد والمجتمعات والجماعات، وليس بين المعتقدات الدينية؛ لأن الهدف من الحوار هو تبادل المنافع والمصالح بين الناس لا التأثير فى العقائد التى يؤمنون بها ، أو فى الثقافات التى ينتمون إليها ، على أساس من القواعد العقلية ، انطلاقًا من قاعدة (لا إكراه فى الدين) ،لا شك أنها دليل على حرية المعتقد فى المجتمع الإنسانى ، وهذا المرتكز نابع من عقيدة المسلم، وإذ إنه أُمر ألا يكره ولا يجبر أحدًا على الدخول فى الإسلام ، ولكافة الناس فى المجتمع حرية الاعتقاد ، والله سبحانه وتعالى بين حرية الاعتقاد ،وأنه لا إكراه فى الدين ،فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وحسابه على الله ، قال تعالى :﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]. ويقول تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الهداية بأمره ولو شاء لهدى الناس جميعًا ، قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] . ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس].

وفى سنة رسول الله ﷺ توضيح لذلك ، فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« من سمّع يهوديا أو نصرانيا دخل النار » والمعنى: تسميعهم حول دينهم ما يكرهون ، وإذا كان تسميع أهل الكتاب ما يكرهون وإيذاؤهم فى الكلام فحسب يدخل النار، فمن باب أولى أن يكون العقاب لمن اعتدى عليهم بالضرب أو القتل أو ما سواه .

وقال ﷺ : « من قتل معاهدا أو مستأمنًا لم يرح رائحة الجنة»[1] ، والمعاهد هو الكتابى والذمى المهادن الذى يعيش آمنًا فى ديار المسلمين ،وكل هذا من خُلق الإسلام الذى يقوم على المحبة والتسامح والعفو والتعايش بين الناس، وليس على المقت والكراهية والقتل والأذى والضرر.

وفى الفصل التالى نعرض لعالم بلا شقاق، مبنى على التعايش والتسامح والعدل والإنصاف وحسن العشرة مع الآخر (الغرب).

---

(١) أخرجه البزار فى مسنده ، جـ٦ ، ص٣٦٨، رقم (٢٣٨٣) ، طبعة مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ.